دور الإنفاق فی سبیل الله فی رفاهیة المجتمع المعاصر فی ضوء فقه السیرة

*آصف رضا

Abstract

Spending in the cause of Allh is one of the most important ways for the welfare of society and all the divine books agreed about its vital role in the betterment of human lives. But it is obvious from Quraan that not everyone has capacity for it but only those who are saved from stinginess: And whoever is protected from the stinginess of his soul - it is those who will be the successful. (Al-Hashr: 09) It is also very relevant question in this regard that what should be spent? And how and where should be spent? hence only that type of spending which is according to the need of time is worthy to be called as best use of it, as Prophet (Peace be upon Him) pointed out to the charity of water when Saad ibn e ubadah asked him about the best mean of charity after the death of his mother and people were in urgent need of water. So it is clear that the one who intended to charity must have the actual and original idea about the demand of those who are in crises and then he should decide to arrange the appropriate means in this regard. We found crystal clear indications in the seerat ur rasool (Peace be upon Him) about the appropriate spending in accordance with the demands of current time like the encouraging the release of slaves especially in the Makkah and the treaty of brotherhood among the immigrants and the ansaar and promoting the building of prophetic mosque and preparing the army for battles and promising the abode in paradise in response. This article deals with role of charity in welfare of current society by the proper means and ways, some of the important points are as follows:

1. Introduction.
2. Importance of Infaq in Quraan and Sunnah.
3. Examples of charity in accordance with the demands of society in light of seerah.
4. Charity endowments and its role in the well-being of society in the light of fiqh us seerah.
5. The needs of contemporary society and the role of Charity endowments.
6. Pre-protection from negativity, because prevention is better than cure.
7. Recommendations or proposals for proper expenditure.

إنّ الوصول إلى إصلاح الأمة على المستوی العام یحتاج إلى إصلاحات کثیرة على المستویات

---

*الأستاذ المساعد، قسم الدراسات الاسلامیة واللغة العربیة، الجامعة الکلیة الحکومیة بفیصل آباد

الفردية والمؤسسية. ومن المؤسسات المهمة فی مجال الفلاح الاجتماعی هی الإنفاق فی سبیل الله أو العمل الخیری ولا یقوم به الا الذی بشّر بالفلاح الحقیقی من قِبل الله تعالی القائل: ومن یوق شحّ نفسه فاولئك هم المفلحون (الحشر: 09) والآیات فی الإنفاق کثیرة معلومة ولکن المهمّ فی هذا المجال هو الإنفاق وفقاً للحاجات الاجتماعیة المعاصرة، وهذا النوع من الإنفاق یجدر أن یسمی بالانفاق الحسن والأفضل کما أشار الرسول صلی الله علیه وسلّم إلی صدقة الماء فی جواب سعد بن عبادة لمّا سأله عن أفضل الصدقة بعد وفاة أمّه، وکان الناس فی حاجة من الماء، فظهر منه أن المنفق لابد له أن یکون علی بصیرة نافذة عن حاجیات المجتمع المعاصر وخبرة بالغة من احتیاج المحاویج لیکون إنفاقه اکثر متعة للفقراء والبائسین وأتمّ نفعا للمساکین، کما هو نموذج للوقف الخیری فی أبواب البر. ولمّا ندرس سیرة الرسول الأعظم صلی الله تعالی علیه وسلّم دراسة عمیقة نجد أمامنا خطوة واضحة وأسوة حسنة فی مجال الإنفاق فی سبیل الله وآثاره البالغة علی المجتمع الإسلامی آنذاك، منها الحثّ علی إعتاق الرقائق خاصة فی المکة المکرمة فی بدایة الدعوة الإسلامیة وعقد المؤاخات بین المهاجرین والأنصار والترغیب فی تجهیز الجیوش الإسلامیة والتبشیر بدخول الجنة لمن قام به، وتحریض المسلمین علی مساعدة البائسین وعمارة المسجد النبوی الشریف وغیر ذلك.

وما أذکر فی هذه المقالة هو جزء من الإصلاح الاجتماعی الّذی نسعی إلیه وأرجو من الله سبحانه أن أکون قد وُفّقت للصواب فیه. وإلیك النکات المهمة لتلك المقالة:

ا. الکلمات التمهیدیة

ب. أهمیة الإنفاق فی سبیل الله فی ضوء القرآن والسنة

ج. النظائر والأمثلة للإنفاق وفقا لحاجات المجتمع من السیرة النبویة

د. الوقف الخیری ودوره فی رفاهیة المجتمع فی ضوء فقه السیرة

ه. حاجیات المجتمع المعاصر ودور الوقف الخیری فی معالجتها

و. الحمایة المسبّقة من السلبیات لأنّ الوقایة خیر من العلاج

ز. التوصیات والاقتراحات للإنفاق الصحیح

إن الإيمان ليس قضية فلسفية مجردة أو مجرد علاقة بين الفرد وربه بعيداعن توجيه أنشطته وممارسته وعلاقاته اليومية. ففى الإيمان يتم ربط الفكر بالعمل والنية بالحركة والسلوك القويم . وقد نفى الرسول ﷺ كمال الإيمان عن من يبيت شعبان وجاره جائع وهو يعلم "ما آمن بى من بات شعبان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم "[1] كما أنكر الله سبحنه وتعالىٰ حصر البرّ فى صورة عادية ورسم معهود بل أبلغ معنى البرّ إلى أقصى حدود الخير و أشمله قائلاً:

"ليس البرّ أن تولّوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البرّ من آمن بالله واليوم الآخر و الملئكة والكتب والنبيّين وآتى المال على حبّه ذوى القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب..."[2]

وما اكتفى القرآن الكريم على حث الانفاق و ترغيب الإعطاء و تحريض البذل فقط بل عد الإمساك وعدم الإنفاق سبيلاً و طريقا للتهلكة بقوله تعالىٰ:

"وانفقوا فى سبيل الله ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة وأحسنو إن الله يحب المحسنين"[3]

كما عد الكنز وحجب المال عن وظيفته الاجتماعية مدعاة للعذاب الأليم وليس هذا فحسب بل رتب المسئولية التقصيرية على الإنسان الذى يعطل سبل الكسب و فرض العمل مهما ادعى الصلاح . وجعل دخول النار فى جس هرة عن طعامها بل و دخول الجنة فى إعانة الحيوان الحقير لسد حاجيه. هكذا نجد عموم المسئولية عن الآخر تجاوزت عالم الانسان إلى عوالم المخلوقات الأخرىٰ. فثبت منه أن الإسلام جعل الانفاق آلة لمساعدة الخلق عامة ولترفيه المجتمع البشرى خاصة وهو النكتة الأساسية فى هذه المقالة الموجزة المتضمنة للمباحث الخمسة واختتمت هذا المقال المتواضع بالنتائج والتوصيات المقترحة .

المبحث الأول: أهمية الإنفاق فى سبيل الله فى ضوء القرآن والسنة .

المبحث الثانى: النظائر و الأمثلة للإنفاق وفقا لحاجات المجتمع من السيرة النبوية

المبحث الثالث: الوقف الخيرى ودوره فى رفاهية المجتمع فى ضوء فقه السيرة

المبحث الرابع: حاجات المجتمع المعاصر و دور الوقف الخيرى فى معالجتها

النتائج والتوصيات المفترحة للإنفاق الصحيح

المبحث الأول:

أهمية الإنفاق فی سبیل الله فی ضوء القرآن الكريم.

القرآن الكريم هو مصدر الهداية لكافة الناس ويهدى الى الإيمان ويدل على مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال منها الإنفاق فی سبیل الله. حرض القرآن على الإنفاق بطرق شتى و بأساليب متنوعة فتارة يذكر القرآن جزاء الإنفاق بصورة مشوّقة ويعد بخلفه حتما وتارةً أخرى يأتى بقصة مؤثرة تكشف الحجب النفسانية عن جمال رد الإنفاق و جزاءه ويرغب القرّاء إلى بذل الأموال فی سبیل الله حتى عده من أنواع الجهاد. ولأهميته ورده فی القرآن الكريم مادة الأنفاق مصرحا به فی ثلاثة وسبعين موضعاً عبر سبع و خمسين آية جاءت فى خمس و عشرين سورة ومن وجوه الإعجاز لكتاب الله الحكيم أن الكلمة وردت بصيغ الإسم فی خمسة مواضع وجاءت بصيغ الفعل فی ثمانية وستين موضعا وما الحكمة فيه؟ وما فائدته؟ أشار اليه الباحث عبدالله سليمان فی رسالته العلمية:

"ومن المؤكد أن لهذا دلالة خاصة، فالتعبير بالأسماء فيه صفة الملازمة دون التعبير بالأفعال، ولعل فی هذا اشارة إلى أنه من الصعب بل قد يكون من المحال ملازمة صفة الإنفاق فی كل حين للإنسان فی حال يسره وعسره و كذلك ملازمتها للناس جميعا إذ أن أحوال الناس وقدرتهم على الإنفاق تختلف و أما التعبير بالأفعال، حتى يتناسب مع حال الإنسان من حيث حالتى اليسر و العسر و التنقل بينهما، و كذلك أحوال الناس المختلفة"[4]

فثبت منه أن موضوع الإنفاق من أهم الموضوعات القرآنية ويجدر الاهتمام البالغ من قبل الباحثين والمخصصين فی الدراسات القرأنية، نذكر هٰهنا فقط الجوانب الأربعة لتلك الأ يات المتعلقة بالإنفاق وهى:

١۔ الأمر بالإنفاق
٢۔ فضائل الإنفاق
٣۔ الحث على الإنفاق بضرب الأمثال
۴۔ الحث على الإنفاق بذكر القصص

نكتفى بذكر المثال الواحد فقط لكل من هذه الأقسام مشيرا إلى ضرورته وحاجة المجتمع إلى الصور المختلفة له فی كل عصر و مصر.

١۔ الأمر بالإنفاق:

من أنواع الحث علی الإنفاق المتخدمة فی القرآن الكریم الأمر المباشر للإنفاق الذی ورد فی كثیر من الآیات، منها:

"وأنفقوا فی سبیل اللہ ولا تلقوا بأیدیكم إلی التهلكة وأحسنوا إن اللہ یحب المحسنین"[5]

أخرج البخاری فی صحیحه عن عن حذیفة ؓ أنه قال عن هذه الآیة "نزلت فی النفقة"[6]

یعنی فی نفقة العیال والأقارب وأهل الحاجة من الفقراء والمساكین ۔ وذكر المفسرون فی شرح التهلكة أنها البخلا أو ترك النفقة فی سبیل اللہ مخافة العیلة أی الفقر[7] ۔یقول السید قطب فی تفسیر الآیة:

"والإ مساك عن الإنفاق فی سبیل اللہ تهلكة للنفس بالشیح وتهلكة للجماعة بالعجز والصنعف ونجاصة فی نظام یقوم علی التطوع كما كان یقوم الإسلام"[8]

فاتفق المفسرون قدیما وحدیثا أن الآیة تدل علی فضیلة الانفاق وضرورته للفرد والمجتمع وعدم الإنفاق فی وجوه الخیر وأبواب البرّو الصلة نوع من التهلكة الممنوعة المحرمة كما هو سبب الإهلاك والإضرار للفقراء وذوی الحاجة من أفراد المجتمع البشری مع غض النظر عن دیانتهم وجنسیتهم وبدون أی تمییز و فرق بینهم

فضائل الإنفاق:

من الأسالیب المؤثرة التی اعتمدها القرٰان فی الحث علی الإنفاق أسلوب بیان فضائله وما یعود من ثمرته علی الفاعل المنفق لأنه یزید ویضاعف عزیمة المنفق۔ والآیات االتی تضمنت هذا الجانب كثیرة ومتنوعة منها اٰیات بینت ان الانفاق یبارك فی الأصل ومنها تقرر أن الانفاق یعود بالخیر علی فاعله والبعض تبشر بأن أجره لا یضیع ومنها:

"من ذا الذی یقرض اللہ قرضا حسناً فیضٰعفه له أضعافاً كثٰیرة"[9]

یكتب الشیخ ابن عجیبة فی تفسیر الآیة:

"یقول الحق جل جلاله: من هذا الذی یعامل اللہ تعالیٰ ویقرضه (قرضاً حسناً) بأن یتصدق علی عبادہ حسنة بنیة خالصة، فیكثرها اللہ تعالیٰ له (أضعافا كثیرة) بسبعمائة إلی مالا نهایة له، ولا یحمله خوف الفقر علی ترك الصدقة ، فإن اللہ تعالیٰ یقبض الرزق عمن یشاء ولو قل إعطاؤه، ویبسط الرزق علی من یشاء ولو كثر إعطاؤه بل یقبض علی من قبض یده شحا و بخلا ویبسط علی من بسط یده عطاء وبذلا ۔۔۔ ونسبة القرض إلیه تعالیٰ ترغیب و تقریب للإفهام "[10]

فظهر مما سبق أن الإنفاق فى سبيل الله له مزية خاصة عندالله حتى قرضاً وبشر المقرض بإضعاف القرض إلى مالا نهاية له وأخبر أن كنوز الرزق بأجعها بيد الله تعالىٰ و قبضته والإنفاق لا ينقص المال۔

الحث على الإنفاق بضرب الأمثال:

من أساليب القرآن الكريم ضرب الأمثال لماله من تأثير فى النفوس وتقريب للفكرة وتوضيح للمعنى المراد۔ ومن الأمثلة الكثيرة لهذا الأسلوب:

"مثل الذين ينفقون أموالهم فى سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل فى كل سنبلة مائة حبة والله يضٰعف لمن يشاء والله واسع عليم "[11]

والمثل المضروب فى هذه الآية يبين مسالة مضاعفة الأجور ويصورها بصورة حسية مشاهدة تعرض الأضعاف كأنها حاضرة بين يدى الناظر وذلك عندما صور الذين ينفقون أموالهم لمثل زارع زرع فى الأرض حبة فأ نبتت الحبة سبع سنابل، كل سنبلة تحمل مائة حبة، فشبه المتصدق بالزارع، وشبه الصدقة بالبذر، فيعطيه الله بكل صدقة له سبعما ئة حسنة[12]

ففى الآية حث عظيم من الله تعالىٰ لعباده على الأنفاق فى سبيله۔

الحث على الإنفاق بذكر القصص:

أورد هٰهنا فقط قصة واحدة لتوضيح النكتة وهى قصة الإخوان الذين ذكروا فى القرآن الكريم، "أصحب الجنة" ووردت القصة فى سورة القلم من الآية رقم إلى ٣٣ و ملخص القصة كما ذكرت فى كتب التفسير أنها عن قوم كانت لأبيهم جنة وكان يأخذ منها قوته ويتصدق بالباقى على الفقراء، فلما مات قال بنوه: إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن اولو عيال، فحلفوا اليقطعن ثمها فى الصباح الباكر قبل انتشار الفقراء ولم يستثنوا فى يمينهم، فأحرق الله جنتهم وهم نائمون، فصارت كالليل المظلم سوادا أوكالصبح أرضا بيضاء بلا شجر، وهلك ثمرها، وأما أصحابها فنادى بعضهم بعضا عند الصباح أن بكروا على بستانكم، ان كنتم قائمين على عزمكم المبيت ليلاً،

فانطلقوا وهم يستارون فيما بينهم لئلا يشعر المساكين بخروجهم فيرافقونهم كعادتهم كل عام، وعزموا على حرمان الفقراء من نصيب تعودوا عليه فى كل موسم، فلما وصلوا ورأوا جنتهم محترقة ظنوا فيه بداية الأمر أنهم قد ضلوا الطريق بسبب خروجهم قبل طلوع الشمس ووضوح الرؤية فقالوا فى البداية لقد ضللنا عن جنتنا وما هى بها، ذلك لما رأوا من هلاكها، فلما تأملوا وعرفوا

أنها هی قالوا: بل حقیقة الحال أننا حرمنا خیرها لجنا یتنا علی أنفسنا وکان أحدهم ینها هم عن أفکار رهم السیئة ویقول لهم حین عزموا علی ذلك اذکرو الله وانتقامه من المجر مین وتوبوا عن هذه العزیمة الفاسدة ولکن أبوا عن قبول رأیة والاٰن بعد ماشاهدوا عقوبة عزمهم الفاسد اعترفوا اجمیعا بأنهم تجاوزوا الحد بمنع حق الفقراء وترك الاستثناء وتوجهوا إلی الله أن یقبل توبتهم وأن یبدلهم خیرا من جنتهم ویعفو عن خطئهم ویتجاوز عن معاصیهم وکفرانهم۔

هذه القصة القراٰنیة تعالج مسئلة البخل وبیان عاقبته وتحث بأبلغ الصورة علی الإنفاق فی سبیل الله

(ii)۔ أهمیة الإنفاق فی ضوء السنة النبویة علی صاحبها الصلوۃ والسلام

تناول موضوع الإنفاق فی سبیل الله أهمیة کبیرة فی السنة و بین صاحب السنة علیه السلام ضرورۃ الإنفاق وحث المسلمین علی المبادرۃ فیه ورغبهم علیه بذکر أجره وحسن عاقبته عند الله تعالیٰ کما نها هم عن الشح والبخل ووصاهم بالا بتعادو التجنب عن عدم الإمساك بل إنه کان یقول فی دعائه کثیراً کما یروی أنس بن مالك رضی الله عنه۔

" کنت أخدم رسول الله ﷺ کلما نزل، فکنت أسمعه یکثر أن یقول: اللهم انی أعوذبك من الهم والحزن والعجز والکسل والبخل والجبن وضلع الدین وغلبة الرجال۔۔۔"[13]

فاستعاذ النبی ﷺ عن البخل المانع عن الإنفاق فی سبیل الله یستجنب منه المؤمن ویتعود نفسه علی البذل فی أمور الخیر ویساعد فی ترفیه المجتمع البشری ویصونه عن الفقر المنسی۔

ولما ندرس متون الحدیث النبوی ومصادره نجدها مشحونة بالأحادیث والآثار التی تدل علی فضیلة الإنفاق فی أسالیب متنوعة و صورشتی ۔ منها حدیث الظل لذی وعد فیه ﷺ رجلا تصدق بصدقة فأخفا ها حتی لاتعلم شماله ماتنفق یمینه بظل الله عزوجل یوم لا ظل إلا ظله[14] وذکر دعاء الملئکة للمنفق قائلاً:

" مامن یوم یصبح العبادفیه إلا ملکان ینز لان فیقول أحدهما: اللهم اعط منفقا خلفاً ویقول الأخر: اللهم اعط مسکا تلفا"[15]

ففیه البشارۃ العظمیٰ ودعوۃ مستجابة للذی یتصدق و ینفق ماله فی سبیل الله وأحیاناً یضرب رسول الله ﷺ مثلاً للترغیب فی الإنفاق والصدقة، منها حدیث أبی هریرۃ ؓ۔

" وقال ضرب رسول الله ﷺ مثل البخیل والمتصدق کمثل رجلین علیهما جنتان من حدید قد اضطرت أیدیهما إلی ثدیهما وترا قیهما فجعل المتصدق کلما تصدق بصدقة انبسطت عنه حتی

تغشى أنامله و تعفو أ ثره وجعل البخيل كلما هم بصدقة قلعت وأخذت كل حلقة مكانها قال فأنا رأيت رسول الله ﷺ بإصبعه فى جيبه فلو رأيته يوسعها ولا توسع"[16]

بين النبى ﷺ فى هذا الحديث أن المنفق عندما ينفق فى أمور الخير ينصره الله ويوسع قلبه ويشرحه بنور الطمانينة وحال البخيل خلافه عندما أراد البذل فى سبيل الله ضاق صدره واضطرب نفسه وما استطاع الإنفاق۔

ولإزدياذ الحث على الإنفاق شبه النبى ﷺ الرجل الذى يحاول ويسعى لاهتمام الفقراء وذوى الحاجة من الأرامل والمساكين بالمجاهد الذى يضحى نفسه فى سبيل الله والعابد الذى يشغل وقته للصلوٰة والصوم والقراءة۔ فقال ﷺ:

" الساعى على الأرملة والمسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو كالذى يصوم النهار ويقوم الليل"[17]

نكتفى بذكر هذه الأحاديث الخمسة فقط مجتنبا عن الإطناب والتطويل وإليك خلاصة تلك الأحاديث بصورة نكات تالية:

١۔ كان النبى ﷺ يتعوذ كثيرا عن البخل۔

٢۔ بشارة ظل الله تعالىٰ يوم القيمة للمتصدق المسر للصدقة۔

٣۔ دعاء الملئكة كل صبح بالخلف للمنفق فى سبيل الله۔

٤۔ ينصر المنفق الجواد من قبل الله تعالىٰ بشرح الصدر۔

٥۔ البخيل لا يستطيع الإنفاق وإن حاول۔

٦۔ الإنفاق لا يختص بالمال فقط بل يمكن بتوفير الوقت والجهد۔

٧۔ تسوية الأجر بين المجاهد والساعى على الأرملة والمسكين۔

المبحث الثانى:

النظائر والأمثلة للإنفاق وفقا لحاجات المجتمع من السيرة النبوية

السيرة النبوية على صاحبها الصلوة والسلام هى قدو ة كاملة وأسوة حسنة للبشرية لأنها تمثل الأنموذج الأعلى لجميع أفراد البشرية عامة و تجسد الحقيقة الإسلامية فى مجموعها خاصة للمسلمين لكونها شاملة لكل النواحى الإنسانية والاجتماعية التى توجد فى الإنسان من حيث أنه فرد مستقل بذاته أو من حيث أنه عضو فعال فى المجتمع۔ ولذلك ذكر علماء السيرة فى أهداف دراسة السيرة

وأغراضها الرئيسى:

"أن يجد الإنسان بين يديه صورة للمثل الأعلى فى كل شأن من شؤون الحياة الفاضلة كى يجعل منها دستورا يتمسك به ويسيره عليه، ولا ريب أن الانسان مهما بحث عن مثل أعلى فى ناحية من نواحى الحياة فإنه واجد كل ذلك فى حياة رسول الله ﷺ أعظم مايكون من الوضوح والكمال ولذا جعله الله قدوة للإنسانية كلها إذقال: (لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة)

ولما ندرس السيرة النبوية للبحث عن ملامح المواساة والمساعدة للبائسين والإعانة لذوى الحاجة نجد أمامنا صورة مشرقة لجميع هذه المعانى على أحسن مايكون من البذل والإنفاق لسد حاجات المجتمع ولانقاذ أفراد هامن الجوع والعطش ولتوفير الحاجيات البشرية إليها . وهذه هى أم المؤمنين خديجة ؓ تخبرنا عن السيرة النبوية قبل البعث قائلة وتسلية اللنبى ﷺ عندما نزل إليه الوحى أولاً:

" كلا والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم ، وتحمل الكل ، وتكسب المعدوم ، وتقرى الضيف،وتعين على نوائب الحق..."[18]

ففيه دلالة واضحة للإنفاق والبذل فى أمور الخير ليس المال فقط بل كل المواهب من توفير الوقت والجهد يجب أن ينفق وفقا لما جات المجتمع وشرح قول الخديجة رضى الله عنها ابن حجر فى أحسن صوره :

" ثم استدلت على ما أقسمت عليه من نفى ذلك أبداً بأمر ااستقرائى وصفته بأصول مكارم الأخلاق ، لأن الإحسان إما إلى الأقارب أو إلى الأجانب وإما بالبدن أو بالمال ، وإما على من يستقل بأمره أو من لا يستقل، وذلك كله مجموع فيما وصفته به"[19]

فحسب رأى العلامة العسقلانى أصول مكارم الأخلاق هى الأمور الخمسه:

١. صلة الرحم
٢ . كسب المعدوم
٣. جمل الكل
٤. قرى الضيف
٥. الإعانة على نوائب الحق

فظهر من هذا الحديث أن الإنفاق والبذل فى أمور الخير بدون الفرق بين القريب والبعيد له مكانة خاصة فى السيرة النبوية ويزيد فضله وتأثيره عندما يكون وفقا لحاجة الفرد والمجتمع وهو مرتبط

بضحان ربانی وحفظ لصاحبه من الخزی حسب رأی أم المؤمنين خديجة ؓ ولذلك أقسمت عليه ببصيرتها النافذة التی دفعتها ألی کونها أول من أمنت به ﷺ۔

وفی هذه الفترة من السيرة نجد أبابکر ؓ ينفق ماله لإعتاق الرقاب المسلمين حتی اتهمه قريش وشهد الله لإخلاصه ورضائه قائلاً۔

"وما لأحد عنده من نعمة تجزیo إلا أبتغاء وجه ربه الأعلیٰo ولسوف يرضی"[20]

ففی العصر المکی کان المسلمون فی حاجة ماسة لمثل هذا الإعتاق للحفظ من الهلاك علی أيدی الظلمة من قريش وللنجاة من البلاء والضرر الخطير المواجه من قبلهم ولما أنفق ابو بکر ماله لهذه الحاجة الماسة فی وقت صحيح مدح الله تعالیٰ فی القراٰن الکريم۔

ولا يلزم کون المساعدة والنصرة بالمال فقط بل يکون فی بعض الأحيان بالشرف والجاه أو بطريق الشفاعة الحسنة وخير نظير له الحلف الفصول الذی قال عنه ﷺ۔

"لقد شهدت بدار عبد الله بن جدعان حلفا ﷺ ما أحب أن لی به حصر النعم، ولو دعيت لمثله فی الإسلام لأجبت"[21]

فأخبر النبی ﷺ بهذا القول هدی أهمية استغاثة الملهوف وإعانة المظلوم فی الإسلام وحيه وإعجابه ﷺ لهذا العمل الخيری کما هو تحريض للمسلمين علی الإتيان بمثله۔

وکذلك لما ندرس أحداث الهجرة ووقائعها کيف ودع المهاجرون مولدهم وأرضهم وجوار بيت الله الحرام صونا لدينهم وکيف استقبلتهم الأنصار بکل ترميب و سرور نجدهم قد فهموا معنی الإنفاق والبذل من أعماق قلوبهم بجميع جوانبه وأرشدهم النبی ﷺ إلی أهميته بصور مختلفة کما أشار إليها الغزالی:

ومن هنا شغل رسول الله ﷺ أول مستقبره بالمدينة بوضع الدعائم التی لابد منها لقيام رسالته وتبين معالمها فی الشؤن الاٰتية:

۱۔ صلة الأمة بالله

۲۔ صلة الأمة بعضها بالبعض الاٰخر

۳ صلة الأمة بالأجانب عنها ممن لايدينون دينها"[22]

فالدعامة الثانية هی التی تتعلق مباشرة بصلب الموضوع لأنها کلما قويت هذه الصلة ازدادت عاطفة المواساة للبائسين ويتمکن المسلم علی الإنفاق والبذل من ماله ومواهبه النفسية

والجسدية . ولتوضيح هذه النكتة ركز النبی ﷺ توجيهاته إليها فی أول خطبه ألقاها فی المسجد النبوی الشريف:

"أيها الناس، فقدموا لأنفسكم ، تعلمن والله ليصعقن أحدكم ثم ليدعن غنمه ليس لها راع، ثم ليقولن له ربه . ليس له ترجمان ولا حاجب يحجبه دونه ألم يأتك رسولی فبلغك؟ وآتيتك ملأ وأفضلت عليك؟ فما قدمت لنفسك؟ فينظر يمينا وشمالا فلا يری شيئا ، ثم ينظر قدامه فلا يری غير جهنم ، فمن استطاع أن يقی نفسه من النار ولو بشق تمرة فليفعل، ومن لم يجد فبكلمة طيبة ، فإن بها تجزی الحسنة عشر أمثالها إلی سبعمائة ضعف والسلام عليكم وعلی رسول الله"[23]

ففی هذه الخطبة الأولی فی المسجد النبوی حرض المسلمين علی النفاق فی الأعمال الخيرية بدون النظر إلی كميته أو بغض النظر عن قلته وكثرته ونتيجة لذلك رأينا الصحابة رضوان الله عليهم يساهمون فی الأعمال الخيرية بل يتبادرون إليها ويسابقون فيها ويشاركون فی ترفيه المجتمع فی المدينة بأشكال عديدة وطرق مختلفة . ومن مظاهر ها مسابقة الأ نصار عند المواخاة ومبادرة الصحابة فی تزويد الغزاة للجيوش المختلفة وتوفير الحاجات الأساسية لأهل الصفة وغيرهم من الفقراء . ولم يكتفو اببذل الأموال فقط بل تضحوا جميع طاقاتهم البشرية فی سبيل الخير بل تعرضوا للموت فی ساحة القتال والمعارك عندما دعوا إليها وصدقوا ما عاهدوا الله عليه وقضوا نحبه . وهكذا أدوا دورهم البارز فی رفاهية المجتمع حسب الحاجات المعاصرة وتطلبات العصر .

البحث الثالث:

الوقف الخيری ودوره فی رفاهية المجتمع فی ضوء فقه السيرة

لقد كان للوقف الخيری (**Charity Endowment**)دوره الكبير فی التنمية الشاملة فی المجتمعات الإسلامية وبخاصة فی النواحی الثقافية والصحية والاجتماعية . قد أسهم الوقف فی تكوين المجتمع الإسلامی المتراحم، ووثق عری النيج فی العصر الحاضر تحتاج بشكل كبير إلی هذا النوع من الإنفاق لكمال النفع وزيادة التاثير وهناك فرق كبير بين الإنفاق العام والوقف الخيری واشار إليه عمر عبيد حسنة فی تقديم الكتاب أوقاف الرعاية الصحية فی المجتمع الإسلامی قائلاً:

" .. إن نظام الوقف يختلف عن سائر موارد التكافل الاجتماعی فی الاسلام من صدقات و زكوات وكفارات و نذور ووصايا و غير ذلك لأن هذه الموارد فی معظمها تمثل علاجات إغاثيه استهلاكية آنية موقوتة وقد يكون نطاقها فی كثير من الأموال فرديا . أما الوقف فهو منذ البدء كان

نزوعاإلى بناء النظام المؤسسى التنموى الإنتاجى دائم النفع والعطاء والتاصيل والتأسيس للعملية التنموية الاجتماعية لورجة يمكن معها وصفه بمؤسسة التنمية المستدامة فى المجالات جميعا بل لعلنا نقول: إن نظام الوقف بشروطه وأحكامه وثمراته ومجالاته يعتبر عملا مؤسسيا فهو مؤسسة المؤسسات جميعا أوابو الموسسات جميعاً"[24]

فحسب رأى الدكتور عمر حسنة الوقف الخيرى هوأبو المؤسسات الاجتماعية ويؤدى دورا بارزا فى ترفيه المجتمع من النواحى المختلفة۔ ولا يخفى على متأمل ماكان لدور الوقف عبر التاريخ فى التقدم الروحى والمادى كما لا يخفى دوره فى التاثير على الحياة الاجتماعية والثقافية التى تشكل الحضارة كما هو فى التصور الحديث لها۔

ولو ننظر إلى تاريخ الوقف نجد أمثالا رائعة له فى زمن النبى ﷺ وما بعده من عصر الصحابة والتابعين والأمويين والعباسيين حتى إلى العصر الحاضر۔ أول وقف فى الإسلام كان بعد هجرة الرسول ﷺ وهى الأرض الخاصة ببناء مسجده، ثم وقف مخيريق رضى الله عنه فى السنة الثالثة للهجرة وكان عبارة عن سبعة هوائط كانت لمخيريق اليهودى أحد بنى ثعلبة وكان من علماء يهود، أسلم يوم أحد وأوصى أنه إذا قتل فأمواله لرسول الله ﷺيضعها حيث شاء فقتل يوم أحد فقبض رسول الله أمواله وجعلها صدقة فى سبيل الله[25] وما زالت كذلك حتى حمل من ثمرها إلى عمر بن عبد العزيز أيام خلافته۔

نماذج من الوقف الخيرى فى أبواب البر:

وقف الأبار والعيون:

١۔ أول ذلك كان بئر رومة التى اشتراها عثمان رضی اللہ عنہ

٢۔ لما ماتت أم سعد بن عبادة، سأل رسول الله ﷺ أى الصدقة أفضل؟ قال: الماء فحفر بئرا وقال: هذه لأم سعد[26]۔

٣۔ وقف على رضی اللہ عنہ عينا تفجر فى أرضه الزراعيه و تصدق بها على الفقراء والمساكين وقال: ليصرف الله تعالىٰ بها وجهى عن النار ويصرف النار عن وجهى۔[27]

٤۔ وقف رسول الله ﷺ سبع حيطان له بالمدينة صدقة على بنى عبد المطلب وبنى هاشم۔

٥۔ وقف عمر رضى الله عنه ارضا بخيبر و ثمغ وجعلها صدقة۔[28]

هناك أنواع مختلفة من الوقت نذكرها إجمالا خوفاً من الإطناب:

وقف المدارس

وقف البيمارستانات (المستشفيات)

وقف المكتبات

وقف الرباط

وقف المساجد

وقف الزوايا

وقف الحمامات

وقف السقايات (الأسبلة)[29]

وجدت هذه الأنواع عبر الت[30]اريخ الإسلامى منذ القرآن الأول إلى اليوم فى الأقطار المختلفة من بلدان المسلمين.

فالدور التنموى الذى اضطلع به الوقف فى التاريخ الإسلامى كان شاملا لكثير من مرافق الحياة ولا يزال إلى الان، فلقد كان يقوم بدور الكثير من الوزارات والمؤسسات اليوم مثل وزارة الصحة، وزارة التربية والتعليم، وزارة السياحة، وزارة الشؤن الا جتماعية وزارة الدفاع وغير ذلك من مؤسسات الخدمة الاجتماعية.

المبحث الرابع:

حاجات المجتمع المعاصر ودور الوقف الخيرى فى معالجتها

قد ذكرنا سابقا أن الوقف الخيرى يعتبر عملا موسسيا وخير الأنواع للإنفاق لكونه شاملا لكثير من مرافق الحياة ويعالج جميع المشاكل الاجتماعية سواء كانت ن الناحية الاقتصادية أوالصحية أوالتعليمية أو الثقافية أو غير ذلك. وحاجات المجتمع البشرى تختلف و تتنوع من حين إلى أخر و من بلد إلى أخرى نسرد فى هذا المبحث بعضا من مشاريع الخير والبركة التى يتصدى لها المنفقون والمتصدقون من أفراد ومؤسسات وجمعيات خيرية وجعلوا لها أوقافا خاصة حسب القدرات والمتطلبات.

مشاريع رعاية و كفالة الأسر الفقيرة.

يمكن الوقف حسب الشروط والأ ركان والمتطلبات المذكورة فى كتب الفقه والقانون و تصدق ثمراته وربحه فى الأعمال الخيرية الانية:

١. الكفالة النقدية الشهرية أوالدورية.

٢. بناء مطبخ خيرى يقدم الوجبات للأسر الفقيرة.

٣. ترميم منازل الفقراء المتصدعة.

۴۔إدخال السرور على أطفال الفقراء بإهدائهم لعب الأطفال الخالية من المخالفات الشرعية۔

مشاريع الرعاية الصحية للأيتام والأسر الفقيرة۔

۱۔تقديم المساعدات العلاجية۔

۲۔عمل كشف صحى مجانى دورى للفقراء والأيتام۔

۳۔الكفالة الدوائية لذوى الأمراض المزمنة مثل السكر،القلب، وغير ذلك۔

مشاريع التدريب والتأهيل

۱۔إقامة دورات فى تربيه الأبناء

۲۔إقامة دورات متنوعة فى مجال اللغات المختلفة والالبكترونيات والكمبيوتر۔

۳۔إقامة دورات فى شتى المجالات للبنات خاصة۔

مشاريع الرعاية التعليمية والثقافية والاجتماعية۔

۱۔إقامة المراكز الموسمية

۲۔إقامة المحاضرات التعليمية والثقافية

مشاريع التمويل الصغيرة للفقراء (إقراض ميسر أو صدقة)

۱۔إعطاء الفقراء بعض أدوات الزراعة كالحراثات والحصادات وخير من ذلك البذور التى تنتج مرة من بعد مرة۔

۲۔ تجهيز ورش عمل للميكانيكا أو الحوادة أو النجارة أو الألمينوم وتشغيل العمالة المناسبة الفقيرة فيها۔

۳۔ اعطاء بعض النساء الفقيرات ماكينات خياطة و تطريز لتعمل عليها و تستفيد من دخلها و هذا فقط كالأنموذج وهناك طرق كثيرة غير ذلك ما يمكن معالجة المشاكل الاجتماعية بها من سبيل الوقف۔

النتائج والتوصيات المقترحة:

وختاماً أود أن أذكر نتائج البحث والتوصيات المقترحة بشكل نقاط تالية:

الإنفاق فى سبيل الله نوع من أنواع الجهاد وتجارة مع الله سبحنه وتعالىٰ۔

حثت الشريعة الإسلامية على الإنفاق بصور شتى۔

السيرة النبوية خير مثال للإنفاق فى سبيل الله وللمنفقين والمتصدقين۔

يحسن أن يكون الإنفاق وفقا لمتطلبات العصر وحاجات المجتمع۔

یجب علی المسلمین أن یکونو اعلی بصیرة وخبرة عن حاجات المجتمع ومتطلباته۔
یلزم علی المتصدقین ألا جتناب عن البذل فی أمور و أشیاء غیر مفیدة۔
الوقف ھو خیر طرق الإنفاق فی سبیل اللہ وأکر فائدة للواقف والموقوف علیه۔
لابد للعلماء والأساتذة والمتخصصین إرشاد المجتمع وھدایته إلی الوقف و تزویده للأمور الأساسیة والمھمة له۔
فی ھذه الأیام المجتمع الباکستانی فی حاجة ملحة للأوقاف الخیریة ۔ وھی طریقه مفیدة لترفیه المجتمع۔
المؤتمرات العلمیة والندوات الإعلامیة خیر سبیل لترویج الوقف فی المجتمع
سبحن ربك رب العزة عما یصفون وسلم علی المرسلین والحمد للہ رب العلمین۔

الھوامش

1. الھیتمی،علی بن ابو بکر ،مجمع الزوائد،بیروت،دار الفکر ،رقم الحدیث:13554، 8:305
2. البقرۃ,2: 177
3. البقرۃ,2:190
4. عبداللہ سلیمان مصطفیٰ، الإنفاق ونظائرہ فی القرآن الکریم ، (دراسة موضوعية) رسالة الماجستیر، قسم التفسیر وعلوم القرآن،الجامعة الإسلامية ۔ غزۃ،فلسطین، 2006ء،:20
5. البقرۃ2،:190
6. البخاری، محمد بن اسمعیل، الجامع الصحیح ،بیروت ،لبنان،دارا ابن کثیر ،ط3، 1407ھ، تحقیق: د ۔ مصطفیٰ دیب البغا،رقم الحدیث: 4244
7. الشوکانی، محمد بن علی ،فتح القدیر ، 206:1
8. سید قطب،فی ظلال القرآن، 166:1
9. البقرۃ,2،:245
10. ابن عجیبة ، إحمد بن محمد، البحر الحدید فی تفسیر القرآن المجید، بیروت ، دار الکتب العلمیة ، ط 2، 1433ھ، 200:1
11. البقرۃ,2،:261
12. القرطبی، محمد بن أحمد، الجامع لأضکام القرآن، القاھرۃ، دار الکتب المعریة، المجلد الثانی، 229:3
13. البخاری، محمد بن اسمعیل، الجامع الصحیح ،رقم الحدیث: 6002، 2340:5
14. المصدر السابق،رقم الھدیث: 1423
15. المصدر السابق،رقم الھدیث: 1442
16. مسلم بن الحجاج،صحیح مسلم ،بیروت،دار احیاء التراث العربی، تعلیق: محمد فؤاد عبد الباقی رقم الحدیث: 1021، 708:2
17. البخاری، الجامع الصحیح رقم الحدیث: 2237:2,5660
18. البوطی، د۔ محمد سعید رمضان،فقه السیرۃ النبویة،بیروت،لبنان دار الفکر المعاصر ،:10
19. البخاری، محمد بن اسمعیل، الجامع الصحیح ،رقم الحدیث: 22:1
20. العسقلانی، احمد بن علی،فتح الباری،دار الفکر ، 24:1
21. اللیل،92: 19۔21
22. زید بن عبد الکریم الزید،فقه السیرۃ،الریاض،دار التدمریة، 1428ھ، 80
23. محمد الغزالی،فقه السیرۃ، 144 www.daawa.info.net

24. المصدر السابق،115
25. أحمد عوف عبد الرحمن أوقاف الرعاية الحية فی المجتمع الاسلامی، قطر ، کتاب الأمة تقديم الکتاب،8
26. السهيلی، عبد الرحمن بن عبد الله، الروض الأنف، بيروت، لبنان، دار احياء التراث العربی، ط:1421ھ،4:206
27. ابو داؤد، سليمان بن الأشعث ،سنن ابی داؤد، بيروت، دار الکتاب العربی، رقم الحديث: 1683
28. البيهقی، أحمد بن الحسين، السنن الکبری ،مکة المکرمة، مکتبة دار الباز ،1414ھ ،رقم الحديث:11677
29. المصدر السابق نفسه ،رقم الحديث: 11673، وانظر التفصيل وللمزيد من الأمثلة: کتاب الوقف فی السنن الکبری للبيہقی، رقم الحديث: 11666، إلی 11681